

# خطبة

## دافع الوسوس

بقلم:

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني  
المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

اسم الكتاب: خطبة دافع الوسوس

الطبعة الحديثة: ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

## **Khuṭbah Dāfi‘ul-Wasāwis**

*(Arabic)*

*By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace be on him), the Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Aḥmadiyya Muslim Jamā‘at.*

© Al-Shirkatul Islamiyyah Limited

First Published in UK in 2011 by:  
Al-Shirkatul Islamiyyah Limited  
Islamabad  
Sheephatch Lane  
Tilford, Surrey GU10 2AQ  
United Kingdom

Printed in UK at:  
Raqeem Press  
Tilford

ISBN: 978-1- 84880-419-7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة الناشر

في عامي ٩٣-١٨٩٢ كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كتاب "مرآة كمالات الإسلام" - واسمه الثاني "دافع الوسوس" - وقد جاء في ثلاثة أقسام، أولها: مقدمة قصيرة باللغة العربية، وثانيها: الجزء الأول بلغة الأردو، وثالثها الجزء الثاني باللغة العربية. وقد طبعنا القسم الثالث من قبلُ منفصلاً باسم "التبليغ" كما فعل المسيح الموعود عليه السلام، أما المقدمة العربية التي عُرفت بـ "خطبة دافع الوسوس" فها نحن ننشرها الآن.

علماً أن "خطبة دافع الوسوس" هي أول ما كتبه حضرته عليه السلام باللغة العربية. ولقد عبّر عليه السلام فيها عن ألمه الكبير للهجوم الشرس الذي شنّه أعداء الإسلام - ولا سيما القسيسين - على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال:

"وما آذى قلبي شيءٌ كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجرحهم في عرض خير الورى. ووالله، لو قُتلت جميعُ صبياني، وأولادي

وأحفادي بأعيني، وقُطعتْ أيدي وأرجلي، وأُخرجتِ الحَدَقَةُ من عيني، وأُبعدتُ من كلِّ مرادي وأوئي وأرني.. ما كان عليَّ أشقَّ من ذلك".

وتوجَّهَ حضرته عليه السلام للمشايع المعارضين أن يتركوه يدافع عن الإسلام ضد الهجمة النصرانية الرهيبة، فقال:

"وإني أعزمُ عليكم بالله الرحمن، أن تذرُوني مجادلاً بأعداء المصطفى والفرقان، وتُمدُّوني بكفِّ اللسان. إنَّ أكَ صادقاً فسوف يُريكم الله صدقي وثباتي، وإنَّ أكَ كاذباً فكفَى الله لإجحتي وإسحاتي. فلا تُشمتوا بي الأعداء، ولا تعتدوا ولا تُطيلوا الإيذاء. ولَعَلَّمُ الله أوسعُ من علمكم، هو يعلم في نفسي ما لا تعلمون. وإن لم تنتهوا فسترجعون إلى الله ثم تُسألون."

وفي هذا الكتاب ثلاثة أدعية يجدر أن تُكتب بأحرف من نور، وهي:

(١) "رَبِّ يا رَبِّ، اسْمَعْ دعائي في قومي، وتضرُّعي في إخوتي. إنِّي أتوسَّلُ إليك بنبيك خاتم النبيين، وشفيعٍ ومشفِّعٍ للمذنبين. رَبِّ أخرجهم من الظلمات إلى نورك، ومن بَيداءِ البُعدِ إلى حضورك."

رَبِّ ارْحَمْ عَلَى الَّذِينَ يَلْعَنُونَ عَلَيَّ، وَاحْفَظْ مِنْ تَبِّكَ قَوْمًا يَقْطَعُونَ  
يَدَيَّ. وَأَدْخِلْ هُدَاكَ فِي جِذْرِ قُلُوبِهِمْ، وَاغْفُ عَنْ خَطِيئَاتِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ.  
وَاعْفِرْ لَهُمْ وَعَافِهِمْ، وَوَادِعْهُمْ وَصَافِهِمْ. وَأَعْطِهِمْ عَيْونًا يُبْصِرُونَ بِهَا،  
وَآذَانًا يَسْمَعُونَ بِهَا، وَقُلُوبًا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَأَنْوَارًا يَعْرِفُونَ بِهَا. وَارْحَمْ  
عَلَيْهِمْ، وَاعْفُ عَمَّا يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ."

(٢) "رَبِّ أَحْيِ الْإِسْلَامَ بِجَهْدِي وَهَمِّي وَدَعَائِي وَكَلَامِي، وَأَعِذْ  
بِي سَحْنَتَهُ وَحَبْرَهُ وَسَبْرَهُ، وَمَزَّقْ كُلَّ مُعَانِدٍ وَكَبْرَهُ. رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ  
تُحْيِي الْمَوْتَى. أَرِنِي وَجُوهًا ذَوِي الشَّمَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَنَفُوسًا ذَوِي  
الْحِكْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، وَعَيْونًا بَاكِيَةً مِنْ خَوْفِكَ، وَقُلُوبًا مُقْشَعِرَّةً عِنْدَ  
ذِكْرِكَ، وَأَصْلًا نَقِيًّا يَرْجِعُ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَيَتَفَيَّأُ ظِلَالَةَ  
الْمَجَازِبِ وَالْأَقْطَابِ، وَأَرِنِي عَرَائِكَ سَاعِيَةً إِلَى الْمَتَابِ وَالْإِعْدَادِ  
لِلْمَتَابِ. رَبِّ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالْعِمَارَاتِ وَالصَّحْرَاءِ،  
وَأَرَى عِبَادَكَ فِي الْبَلَاءِ، وَحَيْطَانِكَ بِالْبَيْدَاءِ، وَدِينِكَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَاءِ، وَأَرَى الْإِسْلَامَ كَمَحْتَاكِ تَرَبَّ بَعْدَ الْإِتْرَابِ، أَوْ كَشَيْخٍ  
مَرْتَعَشٍ تَبَاعَدَ مِنْ زَمَانِ الشَّبَابِ، أَوْ كَشُدَّاذِ الْآفَاقِ، أَوْ كَغَرِيبٍ  
تَنَاهَى عَنِ الرَّفَاقِ، أَوْ كَحُرٍّ ابْتُلِيَ فِي الْإِرْقَاقِ، أَوْ كَيْتِيمٍ سَقَطَ مِنْ

الآماق. يَمِيسُ الباطلُ في بُردِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحقُّ بأيدي  
الأشرار. يَسْعَوْنَ لِإطفاءِ نورِهِ سَعْيَ العفاريتِ، واللهُ خيرٌ حافظًا  
وَمَنْ لَنَا غيرُ ذلكِ الحِرِّيتِ؟"

(٣) "رَبُّ بوجهِ المصطفى ودرجته العُليا، والقائمين في آناءِ الليل  
والغازين في ضوء الضحى، وركابِ لك تَعْدُو السُرَى، ورحالِ تُشَدُّ  
إلى أمِّ القرى، أَصْلِحْ بيننا وبين إخواننا، وأفتَحْ أَبصارَهُم، ونورِ  
قلوبَهُم، وفهَّمَهُم ما فهَّمْتَنِي، وعَلَّمَهُم طُرُقَ التقوى، واعفُ عما  
مضى. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربِّ السماوات العُلى."

هناك أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- لقد اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأولى  
الصادرة في زمن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عام ١٨٩٣م،  
والمحفوظة حاليًا في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة،  
باكستان.

٢- لقد كتب حضرته عليه السلام تحت بعض الكلمات أو الجمل  
العربية معنى أو تعليقًا أو توضيحًا، فترجمناه ووضعناه في الهامش،  
كما أضفنا من عندنا بعض الهوامش التوضيحية.



ولا يسعنا أخيراً إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم الأساتذة الأفاضل: المرحوم مصطفى ثابت، المرحوم موسى سرور نايف، المرحوم طه القزق، المرحوم عطاء الله كلیم، موسى أسعد عودة، هاني طاهر، تميم أبو دقة، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، مبشر أحمد كاهلون، الحافظ مظفر أحمد، عبد المجيد عامر، محمد أحمد نعيم، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر، جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

وأخيراً، نبتهل إلى الله - جل شأنه - أن يجعل هذا السفر المبارك سبباً لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ،  
رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ وَتَمِّمْ بِالْخَيْرِ ●

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَوَّرَ عَيُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَصَابِيحِ الْإِيمَانِ،  
وَأَيَّدَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِفَهْمِ دَقَائِقِ الْعِرْفَانِ، وَأَلْهَمَهُمْ نَكَاتِ  
وَأَسْرَارًا وَعِلْمًا مَا يُلْقَاهَا إِلَّا مَنْ أُوحِيَ مِنَ الرَّحْمَنِ.

● لقد كتب حضرته عليه السلام هنا أربعة أبيات بالفارسية وفيما يلي  
تعريبها:

حُبِّكَ دَوَاءٌ لِأَلْفِ مَرَضٍ يَا إِلَهِي، وَأَقْسَمُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنَّ الْحُرِيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ  
إِنَّمَا هِيَ أَنْ يَصْبِحَ الْإِنْسَانُ أَسِيرَ هَذَا الْحَبِّ.

البحث عن ملاذك ليس عمل المجانين، بل هو قمة الذكاء.

لن أخفي ثروة حبك أبداً لأن إخفاءها خيانة.

وإني مستعدٌ للتضحية بروحي وحياتي في سبيلك، لأن الصداقة الحقيقية

هي تسليم الروح إلى الحبيب. (الناشر)

وجعلهم شמוש الأرض وحُجج الدِّين وحرز الأمان.  
وأضرمَ في الخافقين نارهم وبلغ أذكارهم في الآفاق  
والأحضان. وجعلهم منهلاً لا يغور، ومتاعاً لا يبور،  
وجعل أعداءهم كعصفٍ مأكولٍ، أو كقرَفٍ سقط من  
الإهان. وجعلهم أسعدَ ناسٍ لا يرهقهم ذلّةٌ ولا يغشاهم  
دخان، ولا يضرّهم طعنُ المطعان. قد هاجروا  
الأوطان، وتبتلّوا إلى الله الرحمن. بهر قمرهم، وثرّ  
ثمرهم، وكان معاداتهم عنوان النحوس، وايداؤهم لباس  
ذي البؤس، وشعار الشقيّ المرقعان. فنحمد الله على  
آلائه الذي أرسل عُرفاءه وخلفاءه وأوليائه لتخليص  
الناس من نعاس الغفلة وأيدي الشيطان. الذي طهر  
الأنفاسَ من رجس الأوثان، ووضع الفأسَ على أشجار  
الخبث والعصيان. الملك الحكيم الودود، الذي خلق  
الشمس والقمر لتتوير ظاهر العالم، وخلق الأنبياء

والرسل والمحدثين لتتوير بواطن نوع الإنسان، وأقام الشريعة وأدخل في أخراتها فحول الوقت ومصاليق الدوران. سبحانه، ما أعظم شأنه! هو مرسل الرسل ومسهل السبل ومؤسس الأديان، ومتمم الحجة في كل أوان، وكل يوم هو في شأن. خبع الأسرار وأترعها في كل عين من الأعيان، فبأي أسرار يحيط الإنسان. لا تقعدوا في خيمة العقل وحده وقد سقط البوان، واسعوا إلى الله بامحاض الطاعة وإخراج غيره عن الجنان. ويل لكل جامد سامدٍ عقر النفس وأبار، وطوبى لمن سنّ وسار،<sup>●</sup> وجاهد في سبيل الرحمن. والصلاة والسلام على سيد رسله وخاتم أنبيائه وإمام أوليائه وسلالة أنواره ولباب ضيائه.. الرسول النبي الأمي المبارك.. الذي سدّد للرّعاع، وشفى الأنعام من

● وردت تحت هذه الجملة باللغة الفارسية: إنها إلهام من الله تعالى. (الناشر)

الدُّكَّاع، وبيّن للاتباع أحكام الفرقان بأحسن البيان، وفجر ينبوع نفثاته كالرّثان، وأتى بالكتاب الذي فيه لكلُّ أكولةٍ مرعى وزُلالٌ لكلِّ عطشان. وأخرج الأجنّة من ظلماتٍ ثلاث: شركٍ مطوّحٍ من الجنان، وأعمالٍ محرقةٍ في النيران، وأخلاقٍ مقلّبةٍ من الفطرة الإنسيّة إلى طبائع السّباع والثعبان. الناصح الموقظ الذي أشفق على الناس كلّ الإشفاق، وأذهب الوسنَ من الآماق، وأعطى الأفرخَ الضعيفة قُوتَ الزفيفِ والطيران. وهدى الناس إلى أهدي سبيلٍ، وأطرد النفوس بين وخذٍ وذمّل. وجعل الأمّة أمّةً وسطاً سابقَ الأمم في اللمعان كأنها الأزهران، وجذبهم بقوّته القدسيّة حتى أصبحوا له أطوعَ من حذائه في كل موطنٍ وميدان. وكملّ النفوس وربّى الأشجار حتى استأثر الثمرُ وتسمّنَ ومالت الأغصانُ. فدخلوا في دين الله مجدّين شارين

أنفسهم ابتغاءَ مرضاتِ الله الرحمن. وزُلزِلوا زلزالاً شديداً حتى ضاق الأمر عليهم والتقتُ حلقتا البطانِ. فارتحلوا مدلجين راضين بقضاء الله على ضعفٍ من المريرة، حتى أشرقتُ عليهم شمسُ نصرِ الله ونزلوا فرحين بروحِ وريحان. ودخلوا في حضرة الله بجميع قوتهم، وكسروا قيوداً عائقةً، وأوثاناً مانعةً من ذلك الإيوان. وجعلوا نفوسهم عرضةً لمصائب الإسلام، ونسوا كلَّ رُزءٍ سَلَفَ قبل هذه الأحزان. وباتوا لِرَبِّهم سُجِّداً وقياماً، وما طعموا النوم إلا مثنأً من الأوان. وفتوا في اتِّباعِ رسولِ الله، وما أبدعوا وما خرجوا في استقراء المسالك من كلامِ الله الحنَّان، واقتحموا كلَّ مَخوفةٍ لدينِ الله الرِّيَّان. وقطعوا لله ورسوله من كلِّ وليٍّ وحميم، حتى برزوا السيوف من الجِفان، وآثروا أسماً على ألبسةٍ تنعمٍ ودلال، ونضوا عنهم لذة البطن

ورَوْحِ البَالِ، وَقَنِعُوا بِالْحَمِيمِ مِنَ الزُّلَالِ، وَتَرَاعَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ كَالْإِرَانِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقَاتِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْكَلِمَاتِ، وَفَزِعُوا مِنْ فِتْنِ اللُّسَنِ وَحِصَائِدِ الْأَسْنَةِ، حَتَّى صَارُوا كَبِئْرٍ خَفِرَةٍ فِي إِيْثَارِ الصَّمْتِ وَكَفِّ اللِّسَانِ، وَحَذُوا مِثَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ، وَأَخْلَقَهُمْ وَسَبَّرَهُمْ، وَعِمَارَةَ الْبَاطِنِ وَالْإِقْتِيَانِ. فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ قَلْبًا مَتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ، وَلِسَانًا مَتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ، وَجَنَانًا خَالِيًا مِنَ الْحَقْدِ وَالْغِلِّ وَالشَّنَانِ. رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَحْلَاهُمْ جَنَاتِ الرِّضْوَانِ. نَدَبَ إِلَيْنَا ذِكْرَهُمْ بِالْخَيْرِ، إِنَّهُمْ بَرَهَانُ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا وَحُجَّةُ صِدْقِ مَوْلَانَا وَنَجْوَى الْهُدَى وَوَسَائِلِ الْإِيْقَانِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوْذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعُنِّيَ فِيمَا وُلِّيَ، وَخُوِّفَ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ. فَمَا وَهَنُوا وَمَا اسْتَكَنُوا



حتى قضوا نحبهم وآثروا المولى على وجودٍ فان. تلك  
أمةٌ روحانية وقومٌ موجعٌ لخدينٍ أحبُّ الأخدان.

فأيها الناس، صلُّوا وسلِّموا على رسولٍ حُشيرِ الناس  
على قدمه، وجذبوا إلى الربِّ الرحيمِ المنان. الذي  
أخرج خلقًا كثيرًا من المفاوز المهلكة المبرحة إلى  
روضاتِ الأمن والأمان، وشجّع قلوبًا مزعودة، وقوى  
هيمًا مجهودة، وأبدع أنوارًا مفقودة، وجاء بأبهى الدررِ  
واليوافيت والمرجان. وأصلَّ الأصول وأدب العقول،  
ونجى كثيرًا من الناس من سلاسل الكفر والضلالة  
والطغيان. وسقى المؤمنين المسلمين الراغبين في خيره  
كأس اليقين والسكينة والاطمئنان، وعصمهم من طرق  
الشرِّ والفساد والخسران، وهداهم إلى جميع سبل الخير  
والسعادة والإحسان. ومن جملة مننه أنه أخبرنا من فتن  
آخر الزمان، ثم بشرنا بتأييدٍ وتداركٍ من الربِّ المنان.

اللَّهُمَّ فصلِّ وسلِّم على ذلك الشفيح المشفَّع المنجي  
لنوع الإنسان، وأيِّدنا أن ننتجع ونستفيض من حضرة  
هذا السلطان، ونجِّنا به من شرِّ كلِّ يدٍ قاسطةٍ، بالجور  
باسطةٍ، ومن علماء يسعون لتطلبِ مثالبِ الإخوان،  
وينسون معائبهم كلِّ النسيان. لا يحصر لسانهم عند  
السبِّ واللَّعن والطَّعن والبهتان، ولكن يحصر عند  
شهادة الحقِّ وبيان الحقيقة وإقامة البرهان. يعظون ولا  
يتَّعظون، ويدعون ولا يدعون، ويقولون ولا يفعلون،  
ويُفسدون ولا يُصلحون. ويشقُّون ولا يحُوصون،  
يُكفرون بغير علم ولا يخافون. ويحثُّون الناس على  
الخير وهم على شرِّهم راصعون. ويقولون للمؤمن:  
لستَ مؤمنا، ولا يباليون من أخذ الله تعالى ولا  
يتفكرون. اللَّهُمَّ فاحفظنا من فتنتهم وبرئنا من تهمتهم،  
واخصِّصنا بحفظك واصطفائك وخيرِك، ولا تكلِّنا إلى

كلاءة غيرك، وأوزِعْنَا أن نعمل صالحًا ترضاه. نسألك  
رحمتك وفضلك ورضاءك، وأنت خيرُ الراحمين.

رَبُّ كُنْ بِفُضْلِكَ قَوِّتِي، ونور بصري وما في قلبي،  
وقبلة حياتي ومماتي. واشغفني محبةً، وآتني حُبًّا لا  
يزيد عليه أحد من بعدي. رَبِّ فَتَقَبَّلْ دَعْوَتِي وَأَعْطِنِي  
مُنِّيَّتِي، وِصَافِنِي وَعَافِنِي، واجذبني وقُدِّنِي،  
وَأَيِّدْنِي وَوَفِّقْنِي، وَزَكِّنِي وَنَوِّرْنِي واجعلني  
جميعًا لك، وكن لي جميعًا.

رَبِّ تَعَالِ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَخَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ  
حِجَابٍ، واسقني من كلِّ شرابٍ، وأعني في  
هيجاء النفسِ وجذباتها، واحفظني من مهالكِ البينِ  
وظلماتها، ولا تكأني إلى نفسي طُرْفَةَ عَيْنٍ،  
واعصمني من سيئاتها، واجعل إليك رفعي  
وصعودي، وادخل في كلِّ ذرّةٍ من ذرّات وجودي،

واجعلني من الذين لهم مسبحٌ في بحارك، ومسرحٌ في رياض أنوارك، ورضاءٌ تحت مجاري أقدارك، وباعدٌ بيني وبين أغيارك.

ربِّ بفضلك وبنورِ وجهك أرني جمالك، واسقني زُلالك، وأخرجني من كل أنواع الحجاب والغبار، ولا تجعلني من الذين نكسوا في الظلمة والاستتار، وتناهوا عن البركات والإشراقات والأنوار، وانقلبوا بعقلٍ الناقصِ وجدهم الناكسِ من دار النعيم إلى دار البوار. وارزُقني إحاض الطاعة لوجهك، وسُجودَ الدوام في حضرتك، وأعطني همّةً تحلّ فيها عينُ عنايتك، وأعطني شيئاً لا تعطيه إلا لوحيدٍ من المقبولين، وأنزلْ عليّ رحمةً لا تنزلها إلا على فريد من المحبوبين.

مكثراً في الأصل، ولعلها: بعقلهم. (الناشر)

رَبِّ أَحِي الإسلامَ بجهدِي وهمتي ودعائي  
 وكلامي، وأعدِّ بي سحتته وحبره وسبره، ومزقْ  
 كلَّ مُعادٍ وكبره. ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى. أرني  
 وجوهاً ذوي الشمائل الإيمانية، ونفوساً ذوي الحكمة  
 اليمانية، وعيوناً باكيةً من خوفك، وقلوباً مقشعرةً عند  
 ذكرك، وأصلاً نقيّاً يرجع إلى الحق والصواب، ويتقيّاً  
 ظلالَ المجازيب والأقطاب، وأرني عرائك ساعيةً إلى  
 المتاب والإعداد للمآب.

ربِّ ظهر الفساد في البرِّ والبحر، والعمارات  
 والصحراء، وأرى عبادك في البلاء، وحيطانك بالبيداء،  
 ودينك في البأساء والضراء، وأرى الإسلامَ كمحتاجٍ  
 تَرَبَّ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعشٍ تباعدَ من زمان  
 الشباب، أو كشذوذِ الآفاق، أو كغريبٍ تنهاى عن  
 الرفاق، أو كحُرٍّ ابتليَ في الإرقاق، أو كيتيمٍ سقط من

الآماق. يَمِيسُ الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، وَيُلْطَمُ الحقُّ  
بأيدي الأشرار. يسعون لإطفاء نوره سَعَى العفاريث،  
واللهُ خيرُ حافظاً وَمَنْ لَنَا غير ذلك الخِريّت؟ انتهى  
أمرُ الدينِ إلى الكساد، وثارَتُ بالأحداثِ حصبةُ الفسادِ  
وَجُذامُ الارتداد. خرجوا من قيود الشريعة الغراء،  
ونبذوا أنفسهم بالعراء. تركوا أسوةً حسنةً، واتَّخذوا  
الفلاسفة الضالَّة أئمَّةً، واستحلَّوا كلامهم واستجادوا  
أوهامهم، وأشربوا في قلوبهم عَجَلَ خيالاتِ  
اليورفين<sup>●</sup>، وما هم إلا كجسدٍ له خوار، وما شمُّوا  
عرَف العارفين.

وأيُّمُ الله، قد كنتُ أقمْتُ من الله لأجددَ الدينِ بإذنه،  
وأجدعُ أنفَ الباطلِ من مارنِه، وأمرتُ لذلك من الله  
القدير البديع، فلبَّيتُ دعوته تلبية المطيع، وبلَّغتُ

أوامره وبذلت فيها جهد المستطيع. فارتاب القوم بعزوتي، وأبوا تصديق دعوتي، وسُبرَ فيه غورُ عقلهم ودعوى نقلهم. فاشتعل المبطلون، وظنوا بي الظنون، ونهضوا إليّ بالتكفير، وما لهم بذلك من علمٍ مثقالِ القِطْمِيرِ. دخلوا فيما لم يعلموا، وأخذوا اللعن شِرعَةً، ولم يفتشوا حقيقةً. وكلُّ ذلك كان من لهبِ الغِلِّ، أخذهم كداءِ السلِّ.

وأما أنا فما كنتُ أن آبي من أمر ربّي، أو أفترى عليه من تلقاء نفسي. هو محسني ومنعمي. أسبغ عليّ من العطاء، وأتمّ عليّ من كلّ الآلاء، وأعطاني توفيقاً قائداً إلى الرشد، وفهماً مُدرِكاً للحقّ، وآتاني ما لم يُؤتَ أحدٌ من الأقران، وإنّ هي إلاّ تحديث بآلاء الرحمن. هو كفّلني وتولّى، وأعطى ما أعطى، وبشّرني بخير العاقبة والأولى، ودنا مني وأدنى، وحمدني من عرشه ومشى

إليّ، ورفعني إلى السماوات العلى. وتلك كلها من  
بركات المصطفى، الظلُّ بأصله اقتدى، فرأى ما رأى.  
فالآن لا أخاف ازدراءَ قاذحٍ، ولا هتَكَ فاضحٍ، وأفوضُ  
أمري إلى الله. إنَّ أكُّ كاذبًا فعليّ كذبي، وإنَّ أكُّ صادقًا  
فإن الله لا يضيع أمر الصادقين.

والرُزءُ كُلُّ الرُزءِ أنَّ أعداء الدين اختلسونا الراحةَ  
بتوهين سيدنا رسولِ آخرِ الزمان، وضلَّ سعيُّ علمائنا  
في تكفير المسلمين وإخراج الإخوان من الدين  
والإيمان. فهذه عُضلةٌ سقطت على الإسلام، وداهيةٌ  
نزلت على دين خير الأنام. وجبت شمسُ العلوم،  
وقلتُ أشجارٌ طيبة، وكثرتُ شجرةُ الزقوم، ولم يبق  
إلا أطلالُ العلماء وفضلةُ الفضلاء، إلا ما شاء الله. فلما  
أضاعوا حقيقةً، ضاهوا سقطًا.



يا حسرةً على العلماء! إنهم بمقابلة الأعداء كالظالمِ  
الأعمى في زلج البیداء، ولكن للإسلام والمسلمين  
كالسَّبَّاعِ أو البلاء النازل من السماء. لم يبق فيهم علمٌ  
وحلم وتفقُّه وتدبُّر، إنَّ هم إلا أسماء خالية من الذكاء،  
مملوءة من الكبر والخيلاء، إلا الذين تداركهم لُطْفُ  
الكبرياء، وسبقَتْهم رحمةٌ أرحم الرحماء، فهم مبرءون  
من هذا الداء، بل هم كالترِّياق لهذا الوباء، وحُجَّةُ الله  
على الأشقياء، وهم أوَّلُ السعداء والنجباء والشرفاء.  
في قلوبهم حرارةٌ إسلامية، لا يمستهم بردُ هذا الشتاء.  
هم عميدُ الإسلام، وعمادُ دين خير الأنام، وهم ملوكُ  
الدين، تُجَلَّبُ الخيراتُ من حرمهم، ويُرجى كلُّ مطلوب  
من حرمهم. وهم خزنةُ أسرار الشرع، ومهرةُ الأصول  
والفرع. سلَّمهم الله تعالى وأبقاهم، وعادى من عاداهم،  
ووالى من والاهم.

أيها العلماء الطاعنون في ديني ببهتان الإلحاد،  
واللاعنون عليّ بتهمة الارتداد، أتعلمون لِمَ آوَيْتُ  
ذِكْرَكُمْ بَيْنَ ذِكْرِ نَعْتِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ  
تَعْلَمُوا بِغَيْرِ التَّعْلِيمِ. فَاعْلَمُوا أَنَّ مَقْصِدِي مِنْ هَذَا  
أَمْرَانِ تَوْأَمَانِ شَمَّرْتُ كَشْحِي لِهَمَا، وَمُنَيْتَانِ مَتَشَابِهَتَانِ  
سَأَلْتُهُمَا مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

الأمر الأول: استمالتكم بذكر الرسول المقبول  
والشفيع المأمول، الذي تعالى شأنه عن العقول، وتدارك  
قُرْبِهِ شَقَاوَةَ الْمَخْذُولِ. فَضَمَمْتُ ذِكْرَكُمْ بِذِكْرِ الْمُصْطَفَى،  
لَعَلِّي أجد شفاء صدوركم من هذا المأوى، ولعلكم  
تذكرون خاتم الأنبياء وشأنه الأعلى، وشرزه الذي هو  
شرزُ الله الأغنى، فيملككم الأدبُ والهيبة والخشية  
والنقوى، ويحصلُ لكم حدسٌ صائبٌ وجنانٌ تائبٌ وقلبٌ  
أخشى، ويبعدُ منكم عند ذكره سيلٌ قد اقترب منكم ودنا،

وتلين جلودكم وتفسعرو قلوبكم، وتسمعون ما أقول لكم.  
ولا تتبعوا كل قريحة تأبى.

فاتَّقوا لله يا إخواني، وعند ذكر رسول الله ﷺ  
تأدّبوا، واخفضوا جناحكم في حضرته ولا تشمّخوا،  
وادخلوا في السلم ولا تفرّقوا، وأطيعوا ولا تمزّقوا،  
وتواخوا ولا تعادوا، وصلّوا ولا تقطعوا، وابتغوا سُبُلَ  
رضاء الله ولا تيّأسوا، وكفّوا ألسنتكم، عباد الله، ولا  
تعدّوا. أخرجون أهل قبيلتكم من دينكم ولا تخافون؟  
وتدعون إخوانكم ولا تدعون؟ وتجدون على أنفسكم  
ولهم لا تجدون؟ وتكفرون المسلمين المصلّين الصائمين  
الموحّدين القائمين على حدود الله، ولا تبالون؟  
أشركاؤكم في كلمتكم كفّار، ما لكم كيف تحكمون؟  
أرفقاؤكم في قبيلتكم أغيار، انظروا ما تقولون؟ نحن

نَفَرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمَعْتَدُونَ. أَكْفَرْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمَفْتَرُونَ.

تَجْرؤُونَ عَلَى سَبِّ الْإِخْوَانِ، وَاللَّهُ مَنَعَكُمْ مِنْ سَبِّ الْأَوْثَانِ؟ وَتؤذونُ • الْمُؤْمِنَاتِ الْقَانِتَاتِ، وَاللَّهُ مَنَعَكُمْ مِنْ قَتْلِ الْكَافِرَاتِ الْمَشْرَكَاتِ. أَكْفَرُ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَةً، وَالْقَوْلُ بِوَفَاةِ الْمَسِيحِ مَعْصِيَةٌ؟ مَا لَكُمْ؟ أَيْنَ تَقْوَاكُمْ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَغْشَاكُمْ؟ أَيْنَ ضَبَّاتُ فِرَاسَتِكُمْ وَإِمْعَانِكُمْ؟ وَأَيْنَ ظَعْنُ عِلْمِكُمْ وَعِرْفَانِكُمْ؟ أَدْرَسْتُمْ فِي فُهِرِ الْيَهُودِ، وَلَقَنْتُمْ مِنْ فَنِّ الْفَنْدِ الْمَنْضُودِ؟ رَضِيْتُمْ بِالْقَدْرِ، وَقَدْ نَصَحْتُمْ لِلْحَذْرِ. نَسِيْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ، وَصِرْتُمْ لِعَسَلِ الْإِسْلَامِ كَالْمَحَارِينِ.

• ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الأردنية: هذه إشارة إلى فتوى أعلنوا

فيها ضدنا: فليتحطّف نساءهم من شاء، ولا إيّم عليه. (الناشر)

يا إخوان التُّرّهات، احذروا من يوم المؤاخذات. ما تعرفون إلا ظواهر القرآن، ثم تكذبون أرباب العرفان. قنِعتم على قشر الكتاب، وما مسَّ عقلكم باللباب. أخذتم ظهر القرآن وحذافيره، وتحسبون أنكم نزحتم بیره. ومنكم من صبَّغَ البهتان، وواضخَ الهديان، وجهَّـر السُّبُعِيَّة كعسَّارة، وكوَّس عقول الناس بإغلاطٍ وإدارة، وثوَّر عليَّ كلَّ غثٍّ ذي شرارة، وحرَّفَ كلماتي وقرضها كفأرة، وأفد إلى التحقير والتوهين، وخرد عرضي كالمجانين، وسعى إلى تناء الثغور وقطانها، ليُهلكهم من شجرة الشجرِ وأغصانها. فأنَّؤوا الرأي بإغلاطه، وزلَّتْ أقدامهم وأطالوا لُسْنهم وأمخطوا بامخاطه، وأنفوا من قبول الحق وأكلوا من مخاطه. فكلُّ سُلَيْطَةٍ لعنتُ عليَّ وسبَّتْ، وكلُّ ذِيخَةٍ نبحتْ، وكلُّ ناقةٍ عشواء لبزتْ، وكلُّ مُناضلٍ رمى سهمه وما

تراخي، فمُطِرْنَا حتى صارت الأرضُ سُوَاحِي. ونهض علينا كلُّ جَفْرٍ وجنين، ولم يغادر من لعنٍ وطعنٍ وتكفيرٍ وتوهين. وقرضوا عِرْضِي كقرضِ الفويسقةِ أوراقِ القرآن، وصالوا عليَّ كصولةِ حبشيٍّ على بيتِ الرحمن. فلما رأيتُ تَغَرَ قَدْرِهِم للفسادِ وقدرتهم على الإِفْنَادِ والإيقادِ والإطرادِ، جهشتُ إلى الله الرحمن من حَفْشِهِم عليَّ كأمواجٍ من الطوفان. فسمع الله دعائي وتضرّعي والتجائي، وبشّرني بفتوحاتٍ من عنده، وتأييداتٍ من جُنْدِهِ، وقال: "لا تخف، إنني معك، وماشٍ مع مشيك. أنت مني بمنزلةِ لا يعلم الخلقُ. وجدتك ما وجدتك. إنني مُهين من أراد إهانتك، وإنني مُعين من أراد إعانتك. أنت مني، وسِرُّك سرِّي، وأنت مرادي ومعِي. أنت وجيهه في حضرتي. اخترتك لنفسِي".

هذا ما بشرني ربي وملجئي عند أربي. ووالله لو أطاعني ملوك الأرض كلهم، وفتحت عليّ خزائن العالم كلها، ما أسرتني كسروري من ذلك. ربّ، إني ملئتُ من آلائك، وأشربتُ من بحار نعمائك. ربّ، بلغْ شكري إلى أرجاء سمائك، وتعال وادخلْ في قلبي بجميع ضيائك. إني آثرتك ورسولك على سواك، وانسلختُ من نفسي وجئتُ راغبًا في رضائك. ولك هذه أشعاري، وأنت محبوبي وشعاري وديّاري.

ننگ ونام وعزّتِ دنیا ز دامان ریختیم  
 یار آمیزد مگر با ما بخاک آمیختیم  
 دل بدادیم از کف و جاں در رهی انداختیم  
 واز پیّ وصلِ نگار حیلہ ہا انگیختیم\*

\* تعریب ہدین البیتین بالفارسیۃ کالآتی: تَخَلَّینَا عَنْ شَرَفِنَا وَسُمِعْتِنَا وَعَزَّتِنَا الدنیویۃ. لقد تمّ لنا الوصالُ بالحبيب، ولكن بعد أن صبرنا غبارًا. لقد سلّمنا

ثم أستأنفُ قصتي الأولى و غصتِي العظمى.. أن العلماء ما وجدوا من سهم إلا رموا إليّ، وما من بلاء إلا أنزلوا عليّ؛ وأمطروا عليّ بهتاناً لا أصل لها ولا أثر، ولم يُغادر في ذمي نظمٌ ولا نثرٌ. ﴿ فلما رأيت تباعدُهم عن الصواب وتصاعدُهم في الارتياب، لم أجد بداً من تأليف هذا الكتاب، فكتبتها بدموعٍ سائلة، وحسراتٍ شائلة، وبذلتُ جهد نفسي لإزالة شبهاتهم، وإظهار هفواتهم، وأسألُ الله تعالى أن يجعل بركةً كثيرةً فيه، ويزخَّ في النفوس الضيِّقة معانيه.

---

له القلب، وألقينا في سبيله النفس، فكم من حيلة لجأنا إليها من أجل وصاله.  
(الناشر)

﴿ ورد هنا في الأصل بالهامش باللغة الفارسية: هذه إشارة إلى ما نظمه المنشي سعد الله وما كتبه الشيخ البطالوي وغيرهما من المشايخ من سباب وشتائم.  
(الناشر)



وها أنا بريء مما يقولون، ويعلم الله ولا يعلمون.  
لست من الكافرين والملحدين والمرتدين، وإن أنا إلا  
يوسف في المسجونين. قد أرسلت لأضع عنهم سلاسلهم  
وأغلالهم، فكيف أخاف إكفارهم، وأعلم حالهم؟ ومن  
يُقِمُّ على مصادٍ، ما يخفُّ من وهادٍ؛ ومن يشرب من  
كأسٍ وصالٍ، ما يُبَالِ من مكفرٍ ضالٍّ. وإني أعلم من  
رَبِّي ما جئتُ به من كوكبٍ، فلا يُزَعِجُنِي ضُبَاخُ  
ثعلبٍ. فاتَّقُوا اللهَ ولا تَبْخُتُوا بدجاجكم●، ولا تُتَادُوا  
الخلقَ على نباحكم. ما لكم لا تكبحون أفواهكم ولا  
تكمحون، ولا تتركون التبليخَ والتبذخَ وبعييتكم تفرحون.  
وتكفرون الناسَ بغير علم وأنتم فيها مُفْرِطُونَ. إن كان  
فينا وفيكم اختلافٌ فقد اختلفَ من قبل، وكم من اختلافٍ

● هكذا في الأصل، ولعله: "بوجاهكم" أو "بدجاجكم". (الناشر)

رحمةً لو كنتم تعلمون. والله يحكم بيننا وبينكم في الدنيا ويوم القيامة، وينبّهكم على ما كنتم فيه تختلفون. يا قوم، مهلاً بعض تلك الظنون، فإنّ بعض الظنّ إثم، ما لكم لا تفهمون. وما جنّتُ بكذبٍ ولا فريّةٍ ولا شيءٍ يخالف سنن الهدى، ولكن عميت عليكم، فكيف أزخُّ فيكم ما لا تمسّون. وستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله؛ هو ربّي ينظر إلى قلبي، ويجد فيه ما لا تجدون.

يا قوم، لم أفرطتم في أموركم، ونبذتم القرآن وراء ظهوركم؟ أتفتنون غير الفرقان، وأنتم تعلمون. إن الذين يتبتّلون إلى ربّهم لا يخافون شقاق أحدٍ، وبوعده ساكنون. اطمأنّوا بالله مولاهم، وعليه يتوكّلون. يسمعون به، وينطقون به، وبنوره ينظرون. يطلّعون على غرائب علومه، وعلى أسراره يشرفون. وإن كنتم

في شكّ من أمرى فاقروؤوا كتابى، وتدبروا في جوابى،  
 واسألوا الله ما في قبابى، إن كنتم للحق طالبين كما  
 يطالب الصادقون. فاسألوا ولا تملؤا. وطهروا النياتِ  
 ولا تُلطِّخوا. وادعوا في آناء لياليكم ولا تسأموا.  
 وانتظروا وقت الرحم وترقبوا. وجاهدوا حق جهادكم  
 تُكشِفُ عليكم وتهتدوا. طوبى لمن جاء بقلبٍ منيبٍ  
 وسليم. طوبى لمن جاء بفهمٍ مستقيم. طوبى لِرُوعٍ  
 ينتجع عند الشبهات، ويسأل الله تفهيم العويصات.  
 طوبى لقدمٍ تطاوعَ الرِجْلَ على الفرار من مواقع  
 الافتتانِ بغيبَةِ الإخوان والإكفار. وطوبى لعينٍ حداها  
 الحق إلى صواب، وعصمها من طرق فسادٍ وتباب.  
 وطوبى لخطواتٍ تنقل إلى حسنات، وتصرف من خُطُ  
 الخطيئات. وطوبى لِنَفْسٍ زكَّيت من فورتها، وطوبى  
 لأرواحٍ أعطوا من غلَّةِ الحقِّ وسورتها. وطوبى لفكرٍ

لا يعلم اللغوب، ولا ينثني حتى يرى المطلوب. وطوبى لكل غريبٍ وحليم، وطوبى لمن حُبب إليه الربّ الكريم. يا قوم، قد أناخ الأعداي بساحتنا من عبيد العباد وقسيسين، وأمطروا علينا حجارةً من طين الشياطين. حسبوا التبرُّ ترابًا، والحياة تبابًا، والنور نارًا، والنافع ضارًا. داختُ فتنتهم، وضنأتُ دعوتهم. شغبوا على الإسلام، وجاءوا بالفتن العظام. سرى سحرهم في كل حجرٍ وشجرة، ومذرتُ من أنفسهم كلُّ مدرة. يراءون ماضيرهم كاللبن السائغ، ويصولون على الصديقين بالقلب الزائغ. فقدِمَ بقدمهم فوجُ همنا، واجتمعتُ كتيبةُ غمنا. وسئمنا تكاليفهم متجرعين بالغصص، حتى طُبعتُ في المطابع مصائبنا كالقصاص. ودَّعَ طيبَ عيشنا خوفُ هذا المقام، ووجدنا إذا وجدنا لهب هذه

الأيام. دمس الليلُ علينا من الغموم والأفكار، ووقعنا في  
حيصٍ بيصٍ وتتمرُّ الأطوارِ.

يا قوم، هذا قوم كذبوا ديننا، وأضلُّوا أحداثنا، وقرفوا  
رسولنا بالافتراء، وولجنا المضائق بولوجهم، وأصابنا  
عرجٌ بعروجهم، وأرغمتُ معاطسنا بالتوهين  
والاستهزاء، فأتى وقت أن نتضرَّع بحضرة الرحمن،  
ونتأوّه آهة التَّكْلانِ، ونقرع بابه قرعَ مُصابٍ، ونسأله  
كشفَ الضرِّ والنجاة من عذابٍ، لتتحرك من الله رحمته  
الغراء، وتسكن الضوضاء، ويجيء بعد مكابدة العناء  
يومٌ رَوْحٍ وريحانٍ من قبل أرحم الرحماء، وتتزل  
سكينة القلب وقرّة العين، بعد معاناة الأينِ ومداناة  
الحينِ.

يا قوم، أدركوا ربحكم قبل أن يذهب، وأرَضُوا ربكم  
قبل أن يسخط ويغضب. ولا تكونوا أولَ جارحٍ لدينه،

ولابزٍ على آياته وبراهينه. لِمَ بادرتُم إلى الإساءات في وقت المواساة، وإلى الفصل في وقت الوصل؟ ألا ترون فساد أبناء النفّاثات، إخوان التُّرّهات. فتأونا بالكلمات المؤذيات، وآدونا بتوهين سيّد السادات وتكذيب كتاب الله جامع البركات، وتوطؤونا بلُسنهم وأرْجلهم، وخببوا أحداثنا بأيدي الأطماع ولطائف حيلهم، وصاروا للإسلام كالمُوصِب، وللمسلمين كالذَّيب. فسقطنا في شِصْبٍ شديدٍ تداكأتْ آفاتُه، وفي يد الله إجحأته وإسحأته. يردُّسون على ديننا، ويصولون على عِرضِ نبيِّنا وخدينا.

فيا هكراً على إسلامكم! لا تتيقظون من منامكم. ألا ترون قد جاء وقت الانتهاء، وهطل رُكامُ الأعداء، وضاقَت الأرض علينا بالأساء والضرّاء. اعلموا أن هذا اليوم للإسلام يومٌ مَحْتٌ، وجنته مَرْتٌ، وإن لم

يتدارك رَوْحُ اللَّهِ فَقَلَّتْ. إِنَّ الْكُفَّارَ زَيَّنُوا الدَّقَائِرَ، وَذَمُّوا  
 الْمِسْكَ وَالْعَبِيرَ، وَنُقِصَ الْقُرْآنَ فِي الْعَيُونِ، وَقُومَ  
 بِالذُّونِ، قُدَّتْ تَلَابِيئُهُ، وَرُدَّتْ أَعَاجِيئُهُ، وَغُلِثَ الْبَوْلُ  
 بِالْمَاءِ، وَرُجِّحَتِ الظُّلْمَةُ عَلَى الضِّيَاءِ، وَأَطَارُوا عَيْسَى  
 بِإِفْرَاطِ الْإِطْرَاءِ، وَجَعَلُوا اللَّهَ الْوَحِيدَ ذَا الْبَنَاتِ وَالْأَبْنَاءِ،  
 وَعَدَلُوا بِاللَّهِ عِبْدَهُ، وَأَوْقَعُوا النَّاسَ فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ،  
 وَنَحَتُوا لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ بَهْتَانَاتٍ، وَأَضَلُّوا خَلْقًا كَثِيرًا  
 بِتِلْكَ الْإِفْتِرَاءِ. وَمَا آذَى قَلْبِي شَيْءٌ كَاسْتَهْزَائِهِمْ فِي شَأْنِ  
 الْمِصْطَفَى، وَجَرَّحَهُمْ فِي عَرَضِ خَيْرِ الْوَرَى، وَوَاللَّهِ  
 لَوْ قُتِلَتْ جَمِيعُ صَبِيَانِي، وَأَوْلَادِي وَأَحْفَادِي بِأَعْيُنِي،  
 وَقُطِّعَتْ أَيْدِيَّ وَأَرْجَلِي، وَأُخْرِجَتِ الْحَدِيقَةُ مِنْ عَيْنِي،  
 وَأُبْعِدْتُ مِنْ كُلِّ مَرَادِي وَأَوْنِي وَأَرْنِي.. مَا كَانَ عَلَيَّ  
 أَشَقُّ مِنْ ذَلِكَ. رَبِّ انظُرْ إِلَيْنَا وَإِلَى مَا ابْتُلِينَا، وَاغْفِرْ لَنَا

ذنوبنا واعفُ عن معاصينا، لا يتغير أمرٌ بدون تغييرك، ولا يأتي ولا يُردُّ بلاء إلا بتقديرك.

وأنتم، يا معشر العلماء، بسأتم بالذنيا ونعاسيها، ولذاتِ دُكاسيها. ومنكم من ثاخذُ قدمه في وحل العيسائية، ومال من قومٍ أشعثٍ أغبرٍ إلى أرباب الزينة والزربية، ليستوفي حظّه من رَخاخ الدنيا وجيفتها، وليجني جنى شهواته ويتلبس بقطيفتها. ومنكم قوم وقعوا في المكالبة بينهم لتفشو على الأعداء شنعتهم وشينهم، فأذى بعضهم بعضاً، ورَضَخَ وبدَخَ وبدَخَ، وطرح ثوب السلم وفسَخَ. وعاتَ كلُّ حزبٍ في إخوانهم كعيث الذيب في الغنم، وأراد أن يُزعج أصل حريفه بالرمي والرجم. فأكلوا أنفسهم كالديدان، وفسحوا الأمر لأعداء الدين وأهل الطغيان، وتركوا التقوى وحاسدوا على الأدران، وأسرّوا نفوسهم وأغضبوا الله الرحمن. فلطم الإسلامُ



مِن فسادِ أَنْفُسِيٍّ وَأَفَاقِيٍّ، وَأَعْرَضَ مِنْ مَوَاسَاتِهِ كُلِّ قَلْبٍ نِفَاقِيٍّ. وَكُنْتُ أَرَى كُلَّ ذَلِكَ وَأَسَاقِي، وَعِبْرَاتِي يَتَحَدَّرْنَ عَن مَاقِي، وَزَفْرَاتِي يَتَصَعَّدْنَ مِنَ التَّرَاقِي، فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ الْبَاقِي. فَإِذَا هَبَّتْ نَسِيمُ الْإِلَهَامِ عَلَى جَنَانِي، وَجَاءَتْ بِرِيًّا التَّبْشِيرِ وَرَفَعَ مَكَانِي، فَأَمَرْتُ وَأُرْسَلْتُ لِإِصْلَاحِ هَذَا الْفَسَادِ، وَإِزَالَةِ ذَلِكَ النَّادِ. إِنْ مَعَ الْجَدْبِ حِصْبًا ♦، إِنْ مَعَ الْجَدْبِ حِصْبًا ♦. فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَمَهَلًا تَعَجُّبًا. وَمَا كَانَ طُرُوقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ، بَلْ عِنْدَ حَدَلِ النَّاسِ إِلَى الظُّلْمَةِ وَتَرْكِ نِبْرَاسِ اللَّهِ وَأَنْوَارِ دِينِهِ. وَجِئْتُ فِي وَقْتٍ كَانَتِ الْمَلَّةُ فِي مِمَارَاةٍ مُشْتَدَّةٍ اللَّهْوِ، وَكَانَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْوَاجٍ مُرْجِدَةٍ لِلْقُلُوبِ، وَكَانَ النَّاسُ أَخَذُوا طَرُقَ الْإِلْحَادِ وَالْإِبَاحَةِ وَالْفَسَادِ، وَتَرَكَوا سَبِيلَ الرِّشْدِ وَالصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ، وَكَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرُونَ مَلَدَ الْقُرْآنِ وَغِيَدَهُ،

♦ كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّهَا: حِصْبًا. (النَّاشِر)

ورشاقتَه وفي حُلِّ النور مِيدَه. وكانوا عَفَرُوا اللُّؤْلُؤَ بالاستحقار، وحسبوا كتاب الله خَالِيًا من المعارف والأسرار، فاتخذوا عَارِفَهَا سُخْرَةً ومهجورًا بالاقْمِطْرَار، وقطعوا الأُخُوَّةَ بالاكْفِهْرَار. ومع ذلك كانت مباراة المذاهب بطريق الاستدلال ودَخَلَ العقول، لا بفوارس على صهوات الخيول، وكانت عادة أبناء الزمان قد جرتُ واستحكمتُ لامتحانِ الحُسن والجمال، والنظرِ إلى الشمائل وأنواع الكمال. وكان الإسلام قد لُوْحَتْ خدودُه وجبهته، وبُدِّلَتْ هَيْئَتُه وصورته، وأُخْفِيَتْ طاقته ولياقته، وكُتِمَتْ ملاحظته ورشاقتَه، وكان هذا هو السبب الذي جرَّأ المخالفين على الإنكار، فزاغوا في الظنون والاستحقار. فبعث الله رجلاً لإعلاء شأن كلامه، وإظهار أسرارهِ وإعلان معارفه، وإراءة تَضَوُّعِ مِسْكَه وفضِّ ختامه، فالقومُ ردُّوه ولم يقبلوه، وطردوه

ولم يأووه، وسبّوه ولم يشكروه، وأهانوه ولم يوقروه،  
ولم ينظروا إليه كما ينظر مرموقُ الاهتداء، موموقُ  
الإخاء، وشطّوا في حوضهم حدودَ الاتّقاء، وقالوا: لقد  
جئتَ إدًّا، وجُزّتَ عن الملةَ جدًّا. فلم يابثوا حتى نهّد  
منهم إليّ بطلًا لإكفاري، وكيف ينطفئ نور الله من فوه  
بطلويّ <sup>♦</sup> عاريّ، ولكنه سعى كلّ سعيه لمحورِ أشعةِ  
الحقّ وإطفاء أنواره، وتبديد أعوانه وأنصاره، فلم يُغادر  
جذعًا ولا قارحًا من المستعجلين المتفقّهين، إلا جعله  
من اللاعنين المكفرين، إلا ما شاء الله ربّ العالمين.  
فكلُّ بُغاثٍ استتسرّ، وكلُّ محبوبٍ أكفرَ وكفر،  
واستهدفني للنضال وأكثر، وأخرج كلَّ نجاره وما  
غادر. فجعلوا عرضي للسهام عُرضةً، وحسبوه عملاً  
يزيد قربةً، وقلّبوا لي الأمور، وأوقدوا لي التُّور،

♦ ورد في الأصل تحت هذه الكلمة: أي الشيخ البطالوي. (الناشر)

وأرادوا أن يسحتوني ويسحقوني ويسقوني كأس المنايا والآفات، وأراد الله أن يمزق مكائدهم، ويُريهم من بعض الآيات. هو ربّي، ورحمته تكفيني، وله حياتي ومماتي وتجهيزي وتكفيني. هو حبي كثيرُ السماح، يأتيني ويسقيني كأساتِ راحٍ. ذكره شرابٌ يزيل الأحزان، وحبُّه شيءٌ أسرَ أهلَ الصلاح. لن نفصل ما وصلنا له، ولو قطعنا بالسيوف والرماح. وانظروا إلى آثار رحمته وآيات قبوليته؛ إن القوم يسعون لإعدامي، وهو يُربي عرّدامي، والقومُ يمكر لقطع أصلي وهدم بنياني، وهو يُنمي أفناني وأغصاني، والقومُ يريد إطرادي وتحقيري وتوهيني، وهو يُكرمني ويبشّرني بمراتب ويديني.

ومن منه أنه أحيا قلوبًا يهون إليّ، وعبادًا يعتكفون لديّ، وأحبابًا يصلّون عليّ، وأرسل في أقطار العالم

رياحًا تحشر الناس إلينا كأنه فوجٌ نورِيٌّ، يقود القلوب إلى الدين المتين، أو عَبْقَرِيٌّ بهيروِيٌّ نُورُ الدِّينِ •. فهذا رحمة ربِّي وحقُّ صُرَاحٍ ما يُبْطِله بطالويٌّ وغيرُهُ، وإنْ بَخَعَ نفسه من حشراتٍ ويطير من القالب طيرُهُ. ووالله إن البطالوي ما قصر في مكائده، بل ضمَّ بطاليتَّهُ بفحش لسانه وحصائده. ولولا هيبَةُ سيفِ سَلَّةِ عدلِ سلطنةِ البرِطانيةِ لَحَتَّ الناسَ على سفك دمي، وجَلَبَ رَجَلَهُ وَخَيْلَهُ لِحِسمي وحطمي، ولكن منعه من هذا رُعبُ هذه الدولة ولمعانُ تلك الطاقة. فنشكر الله كلَّ الشكر على ما آمَنَّا من كلِّ خوفٍ تحت ظلِّ هذه الدولة البرِطانية المباركة

• ورد في الأصل تحت هذه الكلمات باللغة الفارسية ما معناه: أي أخونا المولوي الحكيم نور الدين البهرووي، فإن مؤساسة الإسلام هي الصفة الغالبة فيه، ولذلك فإنه يشابه انتشارَ النور السماوي، وذلك فضل الله. (الناشر)

للضعفاء وكهفِ الله للفقراء والغرباء، وسوّطِ الله على كلِّ عتيدٍ ذي خيلاء. ثمَّ وجب علينا شكرُ إحساناتِ القيصرة العادلة، التي يخاف أخذها قلبُ الحادل والحادلة. وكيف لا نشكرها وإنَّ الله عصمنا بهذه السلطنة من حلول الأهوال، وطمس بها آثار الظلم، وأنزل علينا من الآلاء والأموال. اللهم فاجزِ تلك الملكة منا خير جزائك، وانصرها على أعدائها وأعدائك، وأدخلها من كلِّ شرٍّ في ذراك وارزقها من نعمائك، واهدِ قلبها وقلب ذراريها إلى دينك دين الإسلام، ونجِّهم من أنفِ الشركِ واتخاذِ العبدِ إليها ونجِّهم من جميع الآلام. ربِّ أحسنْ إليهم كما أحسنوا إلينا، واجعلْ أفئدةً منهم يقبلون دينك في زمان حياتي، ربِّ

أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنْ بَرَكَاتِكَ وَاسْتَجِبْ  
دَعْوَاتِي، آمِينَ ثُمَّ آمِينَ.

ويا عجباً كلَّ العجب! هذا قوم يقال له الكفار، وذلك  
حزبٌ يقال له الإخوان والأنصار. فيا حزبَ إخوانٍ  
شرٌّ من الأعداء، هلمَّ إلى ما تُتَجَبَّى يومَ التتادي، ولا  
تطيلوا سوءَ ظنِّكم بالإخوان، واتَّقُوا اللهَ مصرفَ  
الملوين. أليس منكم رجلٌ رشيدٌ يخاف المآل، ويذر اللدَّ  
والجدال؟ أتعلمون ما تواجهون، وإلى من تتوجَّهون؟  
أتكفرونَ فرقَ الإسلام باختلاف الفروع، وتأبون من  
المندوب والمشروع؟

وها أنا أشهد بالرَّبِّ العظيم، وأحلف بالله الكريم،  
على أنني مؤمن مسلم موحدٌ متَّبِعٌ لأحكام الله وسُنَنِ  
رسوله، وبريءٌ مما تظنون ومن سُمِّ الكفرِ وحلوله.  
وإني لا أرى لغير الشرع عزَّةً، ولا لعالمه درجةً.

وَأَمَنْتُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ خِلافَهُ زَنْدَقَةٌ، وَمَنْ تَفَوَّهَ  
بِكَلِمَةٍ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ صَحيحٌ فِي الشَّرْعِ، مُلْهِمًا كَانَ أَوْ  
مُجْتَهَدًا، فَبِهِ الشَّيَاطِينُ مُتَلَاعِبَةٌ. وَأَمَنْتُ بِأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدَ  
ﷺ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ كِتَابَنَا لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ وَسِيلَةَ  
الْإِهْتِدَاءِ. لَا نَبِيَّ لَنَا نَقْتَدِي بِهِ إِلَّا الْمُصْطَفَى، وَلَا كِتَابَ  
لَنَا نَتَّبِعُهُ إِلَّا الْفَرْقَانَ الْمُهَيْمِنَ عَلَى الصَّحْفِ الْأُولَى.  
وَأَمَنْتُ بِأَنَّ رَسُولَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَبِأَنَّ  
اللَّهَ خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ، وَبِأَنَّ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ  
مَحْفُوظٌ مِنْ تَحْرِيفِ الْمُحَرِّفِينَ وَخَطَأِ الْمُخْطِئِينَ، وَلَا  
يُنْسَخُ وَلَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَخَالَفُهُ  
إِلْهَامُ الْمُلْهِمِينَ الصَّادِقِينَ. وَكُلُّ مَا فَهَمْتُ مِنْ عَوِيصَاتِ  
الْقُرْآنِ أَوْ أُلْهِمْتُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، فَقَبِلْتُهُ عَلَى شَرِيحَةِ  
الصَّحَّةِ وَالصَّوَابِ وَالسَّمْتِ، وَقَدْ كُشِفَ عَلَيَّ أَنَّهُ صَحيحٌ  
خَالِصٌ يُوَافِقُ الشَّرِيعَةَ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا لُبْسَ وَلَا شَكَّ



ولا شبهة، وإن كان الأمرُ خلاف ذلك على فرض المحال، فنبتنا كلّه من أيدينا كالمتاع الرديّ ومادة السُّعال، وآمنا بمعاني أَرادها الله والرسول الكريم، وإن لم نعلمها ولم يُكشفْ علينا حقيقتُها من الله العليم. وعندنا نصوصٌ وآيات وبراهين على صحّتها سنذكرها في موضعها ووقتها، نردُّ بها على الذين اعتادت قلوبهم زُورًا، وقذفت أقلامهم لغواً موفورًا، وهم لا يقرؤون كتابي، ولا يتدبّرون في جوابي ولا يتفكّرون. فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم، وويلٌ لهم مما يكسبون.

وما أردنا للمخالفين في ذلك الكتاب إلا جواب أوهامهم وإسحات إزامهم، وأما طريق السبِّ بالسبِّ واللعن باللعن والذبّ، فالكتابُ نزهة عنها، وفَوْضُ الأمر إلى الله ربِّ السماء.

يا معشر العلماء، لا تدخلوا في علم الله وأسراره، ولا تجرؤوا على قول ما أُعطيتم من علم دثاره. ولا يختلبكم حياة الدنيا وخضراؤها، ولا يفتنكم صرخ صارخة وضوضاؤها. وإني أعزم عليكم بالله الرحمن، أن تدرؤني مجادلاً بأعداء المصطفى والفرقان، وتمدوني بكف اللسان، إن أك صادقاً فسوف يُريكم الله صدقي وثباتي، وإن أك كاذباً فكفى الله لإجحاتي وإسحاتي. فلا تثنموا بي الأعداء، ولا تعتدوا ولا تطيلوا الإيذاء. ولعلم الله أوسع من علمكم، هو يعلم في نفسي ما لا تعلمون. وإن لم تنتهوا فسترجعون إلى الله ثم تُسألون.

وأما الأمر الثاني الذي ألجأني إلى ذكركم بذكر إمام الأقباصي والأداني ﷺ، فاعلموا، يا شرخ المسلمين وشيوخ المؤمنين، أنني أردت من ترتيبي هذا أن

أستزل رحم الله عليكم وتوبته بالتوسل بخاتم الأنبياء وأصفي الأصفياء. فاشهدوا أنني أمدُّ إلى الله يد المسألة لكم، وأطلب منه هديكم. ربِّ يا ربِّ، اسمع دعائي في قومي، وتضرّعي في إختوتي. إنني أتوسل إليك بنبيك خاتم النبيين، وشفيعٍ ومشفعٍ للمذنبين. ربِّ أخرجهم من الظلمات إلى نورك، ومن ببداء البعد إلى حضورك. ربِّ ارحم على الذين يلعنون عليّ، واحفظ من تَبِّك قوماً يقطعون يديّ، وأدخل هداك في جذر قلوبهم، واعفُ عن خطيئاتهم وذنوبهم، واغفر لهم وعافهم، ووادعهم وصافهم، وأعطهم عيوناً يبصرون بها، وآذاناً يسمعون بها، وقلوباً يفقهون بها، وأنواراً يعرفون بها، وارحم عليهم، واعفُ عما يقولون، فإنهم قوم لا يعلمون.

ربُّ بوجهِ المصطفى ودرجته العلياء، والقائمين في  
 آناء الليل والغازين في ضوء الضحى، وركابٍ لك  
 تعُدُّوا • السُّرى، ورحالٍ تُشدُّ إلى أمِّ القرى، أصْلِحْ بيننا  
 وبين إخواننا، وافتحْ أبصارهم، ونورْ قلوبهم، وفهِّمهم  
 ما فهِّمتني، وعلمهم طرق التقوى، واعفُ عما مضى.  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ السموات العلى.



• هكذا في الأصل، وربما الصحيح: "تعُدُّو السُّرى"، أي: تجري وقت السير  
 ليلاً، أو "تعُدُّو للسُّرى"، أي: تُجهِّز للسير ليلاً. (الناشر)